بعد الرسول ﷺ [١] وعن النبي ﷺ قال: أخبرت أنهم أصحاب الجمل[٢] وفتنتهم في ليلة القدر هل هي ماضية أم مستمرة[٣] وما أشبه من فتن صعبة ملتوية تجعل المتوسطين في الإيمان حيارى، فضلاً عن البسيطين كفتنة الرماة يوم أُحد، وهنالك مجالة حق التقوى حفاظاً على صالح الهدى.

ولقد تعترضكم فتن تزلزل فيها أركان الإيمان، ما ليس لها بُقية إلّا بكامل التقوى والإيمان: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٤].

فـ «يا أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة»[٥] - فإن الأمر ينزل

---

(١) نور الثقلين ٢: ١٤٢ عن العياشي عن عبد الرحمن بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام في الآية قال: أصابت الناس فتنة بعدما قبض الله نبيه حتى تركوا علياً وبايعوا غيره، وهي الفتنة التي فتنوا بها وقد أمرهم رسول الله ﷺ باتباع علي عليه السلام والأوصياء من آل محمد عليهم السلام.
وفي ملحقات إحقاق الحق ٣: ٥٤٦ عن النيشابوري تفسيره ٩: ١٣٤ بهامش تفسير الطبري.
وفيه ١٤: ٣٩٩ عن الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٢٠٦ بسند متصل عن ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتي ونبوة الأنبياء قبلي، وعن الزبير بن العوام أنه قرأ هذه الآية فقال: ما شعرت أن هذه الآية نزلت فينا إلا اليوم، يعني يوم الجمل في محاربته علياً، وفيه عن ابن عباس في الآية قال: حذر الله أصحاب محمد ﷺ أن يقاتلوا علياً.

(٢) المصدر عن العياشي عن إسماعيل السدي عن النبي ﷺ: . . ، وفي تفسير الفخر الرازي ١٥: ١٤٩ عن السدي نزلت في أهل بدر اقتتلوا يوم الجمل وروي أن الزبير كان يساير النبي ﷺ يوماً إذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله ﷺ: كيف حبك لعلي؟ فقال: يا رسول الله أحبه كحبي لولدي أو أشد، فقال: كيف أنت إذا سرت تقاتله؟

(٣) المصدر في أصول الكافي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام حديث طويل وفيه: ثم قال في كتابه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً . . .﴾ [الأنفال: ٢٥] في ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] يقول: إن محمداً ﷺ يموت يقول أهل الخلاف لأمر الله عز وجل: مضت ليلة القدر مع رسول الله ﷺ فهذه فتنة أصابتهم خاصة.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٥) (الخطبة ٥).

من السماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرة - زيادة - في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنة (خ ٢٣) -.

و«كن في الفتنة كابن اللبون - رضيع الناقة - لا ظهرٌ فيُركب ولا ضرع فيُحلب» (ح)

و«لا يقولن أحدكم: اللَّهم إني أعوذ بك من الفتنة، لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استفاد فليستفد من مضلات الفتن فإن الله سبحانه يقول: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾» (٩٣ ح).

«أما بعد أيها الناس، فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها غيري بعد أن ماج غيهبها، واشتد كَلَبها، فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألونني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئَة تهدي مائة وتُضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومُناخ رِكابها ومحط رحالها ومن يُقتل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً، ولو فقدتموني ونزلت بكم كرائِه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق كثير من السائلين، وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلَّصت حربكم، وشمرَّت عن ساقٍ، وكانت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم، حتى يفتَح الله لبقية الأبرار منكم -.

إن الفتن إذا أقبلت شبَّهت، وإذا أدبرت نبَّهت، يُنكرنَ مقبلات، ويُعرفن مُدبرات، يَحُمن حومَ الرياح، يصبن بلداً ويخطئن بلداً -

ألا وإن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنها فتنة عمياء مُظلمة عمّت خُطَّتها، وخُصَّت بليَّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، وأيم الله لتجدُنَّ بني أمية لكم أرباب سُوءٍ بعدي كالناب الضروس، تَعذِم بفيها، وتخبِط بيدها، وتَزبِن برجلها، وتمنع دَرَّها، لا

يزالون بكم حتى لا يَتركوا منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضارٍ بهم، ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحِبه، ترد عليكم فتنتهم شَوهاء مَخشيَّة، وقِطعاً جاهليةً، ليس فيها منَار هدى، ولا عَلَم يُرى، نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة، ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عُنفاً، ويسقيهم بكأس مصبَّرة، لا يعطيهم إلّا السيف، ولا يُجلسهم إلا الخوف فعند ذلك تود قريشٌ بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدرَ جزْر جَزورٍ لأقبل منهم ما أطلُب اليومَ بعضَه فلا يعطونيه[1].

«فاتقوا سكرات النعمة، واحذروا بوائق النَّقمة، وتثبتوا في قَتام العِشوة واعوجاجِ الفتنة، عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب قطبها، ومَدار رحالها، تبدو في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جلية، شِبابُها كشِباب الغلام، وآثارها كآثار السلام، تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائد لآخِرهم، وآخِرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة مريحة، وعن قليل يتبرأُ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرَّجوف، والقاصمة الزَّحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضِل رجاءٌ بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحُمُر في العانة، قد اضطرب معقود الحبْل، وعمي وصية الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظَّلمَة، وتدق أهلَ البدو بِمسحَلها، وترضُّهم بكلكلها، يضيع في غُبارها الوُحدان، ويهلك في طريقها الركبان، ترِد بمُرّ القضاء، وتحلُب

(١) (الخطبة ٩٢).

عبيط الدماء، وتثلم مَنار الدين، وتنقض عقد اليقين، تهرُب منها الأكياس، وتدبِّرها الأرجاس، مرعادٌ مِبراق، كاشفة عن ساق، تُقطع فيها الأرحام، ويفارَق عليها الإسلام، بريُّها سقيم، وظاعنها مقيم»[(١)].

ذلك، ومن واجهة أخرى لأن خطاب التحذير التحظير عام يعم كافة المؤمنين، إذاً فـ «فتنة» عامة تشملهم أجمع بما ظلم ظالمهم، كفتنة التفرق والتمزق من المفرقين بين المسلمين، والاتقاء فيها درجات، منها التقوى عن الدخول في الفتنة مسايرة معها أم عملاً أو عمالة لها، ومنها الصد عنها نهياً عن نكيرها قدر المستطاع، ففتنة المنكر الجماعي تشمل غير الظالمين الذين ظلوا عنها ساكتين لا يقومون بواجب الأمر والنهي، وتشمل - شيئاً مَّا - القائمين بهما إذا لم يتمسكوا بكامل التقوى إمساكاً على إيمانهم، وكما تشمل القُصَّر العاجزين عن الأمر والنهي، والتقوى العامة المفروضة على الكل في هذه الفتن ألّا يسقطوا فيها، ثم المفروضة على الخاصة أن يزيلوها أو يقلِّلوها.

ففي فتنة السلطات غير الشرعية زمنية وروحية تتساقط الشعوب بين أيديها قدرَ تخاذلها أمامها، تسايراً معها، أم تركاً للمعارضة الممكنة ضدها، أم فسحاً لمجال ظهورها في مظاهرها، والتقوى العامة المفروضة على كل المؤمنين في هذه الفتن أن يتقوا السقوط فيها تجاوباً معها، حفاظاً على بقية الإيمان وبغيته، ومعارضتها قدر المستطاع.

وهنا ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهي مؤكد بالثقيلة، لمحة إلى ثقل الفتنة الشاملة، وقد نفيت عن إصابة الظالمين خاصة، لأنها فتنة عامة تعني - بطبيعة حالها - المجموعة، والواجب في حقلها درجات من التقوى قدر المستطاع إزالة إياها أم - لأقل تقدير - عدم السقوط فيها.

(١) (الخطبة ١٥١).

ذلك، وبوجه عام واجب المؤمنين أمام الفتنة الظالمة عامة وخاصة أن يصدوا عنها بداية واستمرارية، أم - لأقل تقدير - ألّا يسايروها ويتماشوا معها أو يسقطوا فيها.

فالجماعة التي تسمح لفريق منها بظلم في أية صورة من صورها، أو تسكت متجاهلاً عنه، ولا تقف في وجهه، إنها جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين.

إذاً فـ ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ صدور فتنة، أم تزايدها، أم المزايدة فيها، أم السكوت عنها بعد ما حصلت، أم التأثر بها، فواجب التقوى أمام هذه الفتن العامة درجات حسب الإمكانيات، لا - فقط - الاتقاء عن التأثر بها.

﴿فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ لأنها فتنة عامة، أم شارك فيها غير الظالمين إلى الظالمين، فأصبحوا معهم من الظالمين المستحقين لها.

فهذه الفتن الجماهيرية هي مثلثة الجهات: الظالمين، والمقصرين أمامهم تركاً لواجب الردع عن الظلم، والقاصرين الذين لا صيت لهم في حقل الظلم ولا صوت، فهي لهم فتنة غفراً وارتفاع درجة، وللأولَين فتنة جزاءً لما ظلموا أصولاً وأتباعاً.

ذلك و«ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، إن من صرَّحت له العَبَر عما بين يديه من المَثُلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات، ألا وإن بيتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم ﷺ والذي بعثه بالحق لتُبلبلن بليلة، ولتُغربُلنَّ غربلة، ولتُساطُن سَوط القدِر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقَنَّ سابقون كانوا قُصروا، وليقصُرَنَّ سبّاقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وَشمةً، ولا كذبتُ كِذبَةً، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم، ألا وإن الخطايا خيل شُمُس حُمِل عليها أهلُها، وخُلعِت لُجمُها فتقحمت

بهم في النار، ألا وإن التقوى مَطايا ذَلُل حُمِل عليها أهلها وأعطوا أزمَّتها فأوردتهم الجنة، حق وباطل، ولكلّ أهل، فلئن أمر الباطل لقديماً فعل، ولئن قل الحق فلربَّما ولعلَّ، ولقلما أدبر شيءٌ فأقبل»[١].

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كما في العهد المكي ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ النسناس نقمةَ إيمانكم وكفرهم ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ هجرةً إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ في حرب بدر وسواها ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

هذا، وبصورة عامة قد يشمل الخطاب كافة الأميين قبل الإسلام حيث كانوا خطف الخاطفين من الروم والفرس[٢]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[٣] فآواهم الله بالإسلام، ثم آوى المهاجرين إلى المأمن المدني[٤] ومن أشد الاستضعاف لقبيل الإيمان ما حصل في العهد المكي بشعب أبي طالب حيث كانوا حاسرين عن كل متطلبات الحرية والحياة محصورين عن تحري الواجبات، وذلك مشهد من التربص الوجل الوحل، حتى لتكاد العين تبصر بالسمات الخائفة والأيدي الممتدة الخاطفة، والقلة المستضعفة المسلمة في ارتقاب وتوجُّس، ومن هذا المشهد الحرج

(١) (الخطبة ١٦).

(٢) الدر المنثور ٣: ١٧٧ - أخرج الشيخ وأبو نعيم والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في الآية قيل: يا رسول الله ﷺ ومن الناس؟ قال: أهل فارس.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٧.

(٤) المصدر أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ قال: إلى الأنصار بالمدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ قال: يوم بدر.

المرج الهرج إلى مشهد الإيواء والتأييد والنصر ورزق الطيبات في ظل الضيافة والإضافة الربانية العطيفة الحفيفة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾:

هنا ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ كأنها حال من ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فـ ﴿أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ الربانية تحلِّق على الفطرية والعقلية وسائر الآيات الأمانات أنفسية وآفاقية وأهمها منشور ولاية الله وهو كتاب الله، ثم أمانة الرسالة والولاية[١] ثم ﴿أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ الرسولية والرسالية هي التي يأتمنكم الرسول إياها بأمر الله في سنته، فكما انفصلت طاعة الله عن طاعة الرسول في صيغة التعبير اعتباراً بالكتاب والسنة، كذلك خيانة الله والرسول في هاتين الأمانتين، إلى سائر الأمانات الربانية المعنية بآية الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾[٢].

ذلك ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾[٣] هي الأخرى الدالة على الأمانتين الربانية والرسالية.

ذلك، وجزم ﴿تَخُونُواْ﴾ قد ينحِّي احتمال حاليتها فإن قضيتها «وتخونون» فقد تعني الواو أصل العطف وعامل الجزم محذوف معروف من ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ حيث تعني «ولا تخونوا أماناتكم» كضابطة ناهية عن خيانة الأمانات

(١) في ملحقات إحقاق الحق ١٤: ٥٦٤ عن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٢٠٥ في العتيق روى عن يونس بن بكار عن أبيه عن جعفر بن محمد بن علي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ - في آل محمد - وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧١.

كلها، وهي - قضيةَ الإضافة - تضم الأمانات الربانية عندكم - كأصل - وأمانات بعضكم عند بعض، وقد يعني الجمع من العاطفة - كأصل - والحالية كفرع عليه، والجزم هو قضية الأصل.

ولقد حصلت خيانات من المنافقين(١) والبعض من بسطاء المؤمنين بحق الله والرسول، فعفى الله عمن استعفى كأبي لبابة(٢) ولم يكن ليعفوا عن المنافق قضيةَ عناده، فما خطاب الإيمان للمنافقين مع سائر المؤمنين إلّا

(١) الدر المنثور ٣: ١٧٥ - أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان أن محمداً ﷺ يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

(٢) المصدر أخرج سنيد وابن جرير عن الزهري في الآية قال: نزلت في أبي لبابة بعثة رسول الله ﷺ فأشار إلى حلقه أنه الذبح فقال أبو لبابة: لا والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب علي فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، قال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه فحلّه بيده.

وفيه أخرج عبد بن حميد عن الكلبي أن رسول الله ﷺ بعث أبا لبابة إلى قريظة وكان حليفاً لهم فأومأ بيده أي الذبح فأنزل الله هذه الآية فقال رسول الله ﷺ لامرأة أبي لبابة: أيصلي ويصوم ويغتسل من الجنابة؟ فقالت: إنه ليصلي ويصوم ويغتسل من الجنابة فبعث إليه فأتاه فقال: يا رسول الله ﷺ والله إني لأصلي وأصوم وأغتسل من الجنابة وإنما نهت إلى النساء والصبيان فوقعت لهم ما زالت في قلبي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله.

وفيه أخرج ابن مردويه عن عكرمة قال لما كان شأن بني قريظة بعث إليهم النبي ﷺ علياً رضي الله عنه فيمن كان عنده من الناس فلما انتهى إليهم وقعوا في رسول الله ﷺ وجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ على فرس أبلق فقالت عائشة فلكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ مسح الغبار عن وجه جبريل عليه السلام فقلت: هذا دحية يا رسول الله ﷺ؟ قال: هذا جبريل، فقال: يا رسول الله ﷺ ما يمنعك من بني قريظة أن تأتيهم فقال رسول الله ﷺ فكيف لي بحصنهم؟ فقال جبريل عليه السلام: إني أدخل فرسي هذا عليهم فركب رسول الله ﷺ فرساً معروراً فلما رآه علي رضي الله عنه قال: يا رسول الله ﷺ لا عليك أن لا تأتيهم فإنهم يشتمونك، فقال: كلّا إنها ستكون تحية فأتاهم النبي ﷺ فقال: يا إخوة القردة والخنازير، فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً، فقالوا: لا ننزل على حكم محمد ﷺ ولكننا ننزل على حكم =

بشامل الإقرار باللسان إيمان النفاق، وكما في التكاليف العامة للمقرين ككل حيث تشمل المنافقين إلى الموافقين.

ولأن أصل الخيانة ليس إلّا من منافق ثم من ضعفاء الإيمان قد شملها الخطاب.

هذا وخيانة الأمانة هي بصورة عامة محظورة، فحتى إذا كانت خيانة بديلة خيانة(١).

اللّهم إلّا إذا تجرد الاعتداء بالمثل عن ظاهرة الخيانة(٢).

فحين يخونك من ائتمنته على مال ليس لك أن تخونه فيما أئتمنك على مثله من مال، اللّهم إلّا أن تعلن له أن هذا بهذا أم تنويه، دون أن تنكر أمانته كما أنكر هو أمانتك.

فهنا مال بديل مال، إذا لم يردَّ عليك المؤتمن فلا ترد عليه ما ائتمنه عندك، وأما أن تنكر أمانته كما أنكر أمانتك بحلف وسواه، فلا يبرره شيء، إنما المبرَّر استنقاذ حقك المهدور قَدَر المقدور دون تعدٍ آخر عليه.

ذلك، وبنظرة أخرى إلى الآية قد تعني ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ إضافة إلى

= سعد بن معاذ فنزلوا فحكم فيهم أن تقتل مقاتليهم وتسبي ذراريهم، فقال رسول الله ﷺ: بذلك طرقني الملك سحراً فنزل فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧] نزلت في أبي لبابة أشار إلى بني قريظة حين قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ: لا تفعلوا أمانة الذبح وأشار بيده إلى حلقه.

(١) نور الثقلين ٢: ١٤٤ عن الكافي عن سليمان بن خالد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل وقع لي عنده مال وكابرني عليه وحلف ثم وقع له عندي مال فأخذه مكان مالي الذي أخذه وأجحده وأحلف عليه كما صنع؟ فقال: إن خانك فلا تخنه فلا تدخل فيما عبته عليه.

(٢) المصدر عن أبي بكر الحضرمي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل كان له على رجل مال فجحده إياه وذهب به ثم صار بعد ذلك للرجل الذي ذهب بماله مال قبله أيأخذه منه مكان ماله الذي ذهب به منه ذلك الرجل؟ قال: نعم، ولكن لهذا كلام يقول: اللّهم إني آخذ هذا المال مكان مالي الذي أخذه مني وإني لم آخذ ما أخذت منه خيانة ولا ظلماً.

الحال - الماضية - و«أن تخونوا» اعتباراً بثالث ثلاثة من موارد النهي، خيانة الله والرسول وخياناتكم فيما بينكم، فخيانة الله الخاصة هي خيانة آياته التكوينية والتشريعية، وخيانة الرسول هي خيانته في سنته، وهما أيضاً من خياناتكم أنفسكم، ثم خيانة بعضكم بعضها أم خيانة أنفسكم وهما أيضاً من خيانة الله، ثم الخيانات التي تعود بأخطارها وأضرارها إلى المجموعة المؤمنة هي مثلث الخيانة.

ثم ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها خيانات و﴿تَعْلَمُونَ﴾ أنها محرمات و﴿تَعْلَمُونَ﴾ آثارها السيئة بنكبات، و﴿تَعْلَمُونَ﴾ واجب الحفاظ على الأمانات فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[1].

كما ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن خيانة الله والرسول هي خيانة أنفسكم كما وخيانة أنفسكم هي خيانة الله والرسول.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾:

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ﴾ في خيرهما وشرهما، بكثرتهما وقلتهما وعلى أية حال لهما «فتنة لكم وامتحان»، فقد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره، فلا تعتبروا الرضا والسُّخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنى والاقتدار فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[2] فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم[3].

ذلك ومن فتنة الخير الوُلد الصالحون، وقد كان رسول الله ﷺ يخطب

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.
(٣) (الخطبة ١٩٠).